مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية

إضاءات على أفكار ما_بعد_الصهيونيّة

هاني رمضان طالب

4 دراسات عن إسرائيل

أيلول 2020

دراسات عن إسرائيل 4
أيلول 2020

إضاءات على أفكار ما _ بعد _ الصهيونيّة
Illuminations of post-Zionist ideas

هاني رمضان طالب
ماجستير في العلوم السياسيّة، جامعة الأزهر – غزّة.

المحرر المسؤول: مهند مصطفى
تدقيق: حنا نور الحاج
مسؤولة الانتاج: إيناس خطيب

العنوان: همغينيم 90 حيفا
البريد الإلكتروني: mada@mada-research.org
رقم الهاتف: 04-8552035

ملخَّص

لقد شكّل تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة خلال عَقدين من الزمن تقريبًا –منذ منتصف ثمانينيّات القرن الماضي إلى منتصف العَقد الأوّل من القرن الحادي والعشرين- مرآة أو لوحة عاكسة تكشف التناقضات والتوتّرات الكامنة في الادّعاءات والسرديّات الصهيونيّة الإسرائيليّة الرسميّة على وجه العموم، فجاءت هذه الورقة في محاولة للتركيز على ما _ بعد _ الصهيونيّة باعتبار أنّها مثّلت حالة تطوير خطاب يرمي إلى تفنيد ومواجهة هيمنة الخطاب الصهيونيّ الإسرائيليّ، وذلك من خلال تسليط الضوء على فكر ما _ بعد _ الصهيونيّة. وسنحاول الإجابة عن سؤالَي الدراسة (ما معنى ما _ بعد _ الصهيونيّة؟ وما طبيعة وحدود دورها؟) من خلال المَحاور الأربعة التالية:

- **المحور الأوّل: ماهيّة مفهوم ما _ بعد _ الصهيونيّة.**
- **المحور الثاني: دواعي ظهور تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة.**
- **المحور الثالث: أطروحات ما _ بعد _ الصهيونيّة.**
- **المحور الرابع: أهمّيّة وأثر ما _ بعد _ الصهيونيّة.**

مقدّمة

من المعلوم أنّ الصهيونيّة، بوصفها حركة سياسيّة، قد حدّدت غاية مركزيّة تطالب وتسعى لتحقيقها منذ تأسيسها رسميًّا في بازل عام 1897، هي إعادة توطين اليهود المنتشرين في العالم في أرض فلسطين كوسيلة لحلّ المسألة اليهوديّة، وقد تجسّدت تلك الغاية من خلال حرب عام 1948 وإعلان قيام دولة إسرائيل، إلّا أنّ الصهيونيّة قد استمرّت في الهيمنة على مختلف مَناحي الحياة في إسرائيل ولم تتوقّف عند حدّ إقامة الدولة؛ إذ إنّه بعد حرب عام 1967 برزت بعض الأفكار النقديّة داخل المجتمع الإسرائيليّ –ولا سيّما بعد ما توسّعت دولة إسرائيل على حساب الأراضي العربيّة وما تبقّى من فلسطين- رأت في الصهيونيّة السببَ في كثير من المشكلات التي يواجهها الإسرائيليّون على أرض الواقع، فظهر مفهوم "ما _ بعد _ الصهيونيّة" الذي أثار الجدل على المستوى الأكاديميّ والفكريّ والمستوى الثقافيّ والفنّيّ، والذي مثّل دعوة جديدة ترى في الصهيونيّة أيديولوجيا قد تجاوزها الزمن ولا ضرورة لوجودها بعدما أنجزت أغلب وأهمّ أهدافها، بينما لم تستطع أن تواجه بعض التحدّيات التي ترتّبت على ذلك الإنجاز بأن تتحوّل إلى دولة ديمقراطيّة لمواطنيها كافّة دون تمييز، ويحكمها القانون والمساواة، بالإضافة إلى القدرة على التطبيع الكامل أو التحوّل إلى عنصر طبيعيّ في المنطقة، وبالتالي تعايش دولة إسرائيل مع محيطها العربيّ والإقليميّ.

المحور الأوّل: ماهيّة ما_بعد_الصهيونيّة

لقد أخذت بعض المصطلحات الما_ورائيّة أو الما_بعديّة تظهر تباعًا، واشتملت على موضوعات مختلفة نحو: ما بعد الاستعمار؛ ما بعد البنيويّة؛ ما بعد السلوكيّة؛ ما بعد الأيديولوجيا؛ ما بعد الحداثة... وقد عكست وجود حاجات ودوافع للتغيير وإنْ لم تَعكس مناهجَ واضحةً لاتّجاهات هذا التغيير. وعلى الرغم من تنوّع الموضوعات المطروحة، فإنّها تلتقي حول فكرة رئيسيّة هي عدمُ كفاية أو صلاحيَة ما هو مطروح من مفاهيم وأيديولوجيات، والقيامُ بعمليّة مراجَعة نقديّة شاملة، ومن ثَمّ تقديمُ أفكار جديدة تعالج جوانب القصور كلّ حسب مجاله الخاصّ.[1]

ويُستخدم مصطلح ما _ بعد _ الصهيونيّة للإشارة إلى انحسار الأيديولوجيا الصهيونيّة ودخول التجمّع الصهيونيّ عصر ما

1. مهدي، كاظم علي. (2016). **ما بعد الصهيونيّة**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة. ص 17.

بعد الأيديولوجيات؛ إذ إنّ كلمة "بَعد" في الخطاب الفلسفيّ الغربيّ تعني أنّ النموذج السائد قد اضمحلّ ولم يولَد نموذج جديد محلّه؛ أي إنّه ثمّة أزمة على مستوى النموذج لم يظهر لها حلّ، ولعلّها تعني بكلّ صراحة نهايته. ومن أهمّ مصطلحات "الما بعد" مصطلح "ما بعد الحداثة" الذي صِيغَ "ما _ بعد _ الصهيونيّة" قياسًا عليه.[2] ويؤكّد المؤرّخ الإسرائيليّ بِني موريس على هذه النقطة فيقول: "إنّ دولة إسرائيل دخلت في الأعوام الأخيرة حقبة ما بعد أيديولوجيّة أي ما بعد صهيونيّة، بدأت فيها المصالح والقيم الخاصّة والفرديّة تطغى على قيم الجماعة بكاملها".[3]

ومن أهمّ المصادر العلميّة التي استندت إليها أعمالُ ما _ بعد _ الصهيونيّين أو مَن أُطلق عليهم المؤرّخون الجدد، الأرشيفُ الإسرائيليّ الذي رفع الحظر والسرّيّة عن بعض وثائقه بعد مرور ثلاثين عامًا عليها، وقد امتدّ الأمر بعد ذلك ليشمل مجالات متعدّدة كالأدب والفنّ فضلًا عن علم الاجتماع.[4]

بينما يرى البعض أنّ تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة ظهر على نحوٍ واضح في النصف الأخير من ثمانينيّات وبداية تسعينيّات القرن العشرين، عن طريق مجموعة من الأكاديميّين والمؤرّخين والباحثين الإسرائيليّين في العلوم الاجتماعيّة الذين جاءوا بأفكار جديدة مخالِفة لِما هو سائد عن الرواية التاريخيّة الصهيونيّة، وذلك بظهور عدد من الأعمال العلميّة تطرح صورًا من ماضي المجتمع اليهوديّ في فلسطين وحاضره كانت تتناقض بشدّة مع الصورة التي رسمها الجمهور الإسرائيليّ لنفسه ومع ذاكرته الجماعيّة، وكانت هذه الأعمال تتحدّى الحقائق الصهيونيّة المقدّسة، وتشكّك في مدى صلاحيَتها بالنسبة إلى الجيل الحاليّ.[5]

فهناك اتّجاهات عديدة بالنسبة لتاريخ ولادة تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة وظهوره، إذ ثمّة من يرى أنّ أفكار ما _ بعد _ الصهيونيّة لم تتبلور في الأوساط الأكاديميّة والإعلاميّة والسياسيّة الإسرائيليّة دفعة واحدة، بل مرّت في عدد من المحطّات متأثّرة بمجموعة أحداث بدأت مع حرب حزيران عام 1967، فرأى بعضهم في تلك الحرب تحقيقًا لأقصى الأهداف الصهيونيّة في تثبيت دعائم الدولة اليهوديّة بما يتّفق إلى حدّ ما مع مفهوم "أرض إسرائيل" التوراتيّة، ثم دفعت حرب تشرين عام 1973 بها نحو التبلور كحركة احتجاجيّة سلميّة في المجتمع الإسرائيليّ. وفي ثمانينيّات وتسعينيّات القرن العشرين، تعمّق هذا الاتّجاه بفعل سجالات داخليّة حادّة بين الإسرائيليّين، تمحورت حول غزو لبنان والثمن الباهظ الذي تدفعه إسرائيل جرّاء احتلالها لجنوبه، كما جاء اندلاع الانتفاضة الفلسطينيّة الأولى عام 1987، ثمّ الانتفاضة الثانية عام 2000، ليطرح جدوى الاستمرار في احتلال الضفّة الغربيّة وقِطاع غزّة، واستخدام القوّة العسكريّة للجيش الإسرائيليّ لمواجهتهما، ممّا أثار انقسامات حادّة بعد عقود من الزمن على قيام ما يسمّى الإجماع القوميّ في إسرائيل.[6]

من ناحية أخرى، ترى ميراف ڤارمسر أنّ التطوّرات المبكّرة لأفكار تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة إزاء الفلسطينيّين قد عُبِّرَ عنها في الوسط الأكاديميّ الإسرائيليّ عقب حرب عام 1967، كما جادل أوري أڤنيري بأنّه كان قد استَخدَم المصطلح "ما _ بعد _ الصهيونيّة" منذ عام 1976، ليصف وجهًا جديدًا من الوطنيّة الإسرائيليّة في تمييزها من الانتماء التقليديّ لليهوديّة.[7] كما ذهب عبد الوهّاب المسيري إلى أنّ ما _ بعد _ الصهيونيّة لها جذور تسبق ظهورها في الثمانينيّات، فتحدّي الرواية الإسرائيليّة للأحداث أمر قام به يسرائيل شاحاك من قَبل على نحوٍ منهجيّ شامل.[8]

ويشير أوري رام إلى أنّ المصطلح "ما _ بعد _ الصهيونيّة" ظهر للمرّة الأولى وتغلغل في الخطاب العامّ في أعقاب كتاب كان

2. المسيري، عبد الوهّاب. (1999). **موسوعة اليهود واليهوديّة والصهيونيّة**، الجزء السابع. القاهرة: دار الشروق. ص 324.

3. موريس، بِني. (1998). قمت بعمل صهيونيّ. مجلّة الدراسات الفلسطينيّة، المجلّد (9)، العدد (33). بيروت: مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة. ص 111.

4. هاتف مكّي، دينا. (2018، 11 آب). ما وراء الصهيونيّة. مجلّة تكريت للعلوم السياسيّة، 3 (12). ص 56–85.

5. پاپي، إيلان. (1997). ما بعد الصهيونيّة: توجّهات جديدة في الخطاب الأكاديميّ الإسرائيليّ حول الفلسطينيّين والعرب. مجلّة الدراسات الفلسطينيّة، المجلّد (8)، العدد (31). بيروت: مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة. ص 77.

6. مهدي، كاظم علي. مصدر سابق. ص 33.

7. المصدر السابق.

8. المسيري، عبد الوهّاب. مصدر سابق.

قد حرّره رام وصدر أواخر العام 1993، حمل العنوانَ "المجتمع الإسرائيليّ، جوانب انتقاديّة". تضمّن الكتاب مجموعة مقالات، ومن ضمنها مقالة كتبها أوري رام نفسه، وقد استخدم فيها المصطلح "ما _ بعد _ الصهيونيّة" في النصّ وفي عنوان ثانويّ. يرى رام أنّ ثمّة علاقة بين المصطلحِ "ما بعد _ الصهيونيّة" وتكريسه في الخطاب العامّ، واتّفاقِ أوسلو الذي وَلّد آمالًا في وضع حدّ للصراع الإسرائيليّ الفلسطينيّ، وأنّ تاريخ الثالث عشر من أيلول عام 1993 -وهو اليوم الذي وُقّع فيه على اتّفاقيّة أوسلو في البيت الأبيض- هو تاريخ الميلاد الرمزيّ والسليم الذي شقّ فيه المصطلح طريقه إلى الوعي الجماهيريّ.[9]

كذلك أكّد إيلان پاپي من جهته على التأريخ المذكور من جانب أوري رام لظهور مفهوم ما _ بعد _ الصهيونيّة، مشيرًا إلى أنّه قد نشر إذّاك مقالة نقديّة حول الكتاب في صحيفة هآرتس بتاريخ 1994/1/28، حملت العنوان "سوسيولوجيا ما _ بعد _ الصهيونيّة".[10]

وعلى الرغم من أنّ مفهوم "ما بعد الصهيونيّة" دخل الخطاب العامّ عام 1993، فإنّه كان قد لُمست بعض التباشير المبكّرة من قِبل بعض المثّقفين الإسرائيليّين السابقين، وأحدهم هو الفيلسوف مناحيم برنكر، الذي صاغ عام 1986 مصطلحًا موازيًا بالعبريّة هو "تكوفاه بتار تْسِيُونِيت" (فترة ما _ بعد _ الصهيونيّة). ومع أنّ كلمة "بتار" تترجَم في الغالب "ما بعد"، يشير الاستخدام العبريّ إلى نقص في الإشارة أو التلميح إلى ما _ بعد _ الصهيونيّة في ذلك الوقت، وهي المسألة التي لم تُحوّل بشكل راديكاليّ إلّا بعد بضع سنوات لاحقة،[11] وهناك تبشير مبكّر آخر أنتجه عالِم الاجتماع إريك كوهين الذي استخدم المصطلح على نحوٍ واضح في محاضرة قدّمها عام 1989، ولم تجد طريقها إلى النشر إلّا عام 1995. وهناك مبشّرون آخرون بما _ بعد _ الصهيونيّة، من بينهم الناقد الثقافيّ بُوعَز عفْرون، والفيلسوف يوسف أجاسي. وعلى الرغم من أنّه لم يستخدم أيٌّ منهما المصطلَحَ، تناول كلاهما قضيّة "الأمّة الإسرائيليّة" ارتكازًا على المواطَنة المشترَكة والتاريخ المحلّيّ، والتي تختلف عن الدارج (مصير الجماعة للشعب اليهوديّ Community).[12]

وقد وجد البعض أصول الما_بعد_صهيونيّة في المدخل الأكثر عراقة للضدّ_صهيونيّة، والذي في فترة ما قبل قيام الدولة كان قد استخدمته الدوائر الشيوعيّة (هذا دون العرب الضدّ_صهيونيّة)، ومنذ ستّينيّات القرن العشرين على يد المجموعة الانشقاقيّة المعترضة من حركة متسپين.[13]

يصف إلعيزر شڤيد، أستاذ الفلسفة اليهوديّة في الجامعة العبريّة في القدس، ظاهرة "ما _ بعد _ الصهيونيّة" بأنّها: "ظاهرة مركّبة ومعقّدة جدًّا، ومكوّناتها بالتأكيد غير متماثلة".[14] وهي أيضًا عمليّة اجتماعيّة وسوسيولوجيّة، ولذا هي أوسع انتشارًا وأكثر نفوذًا من حيّز دائرة مناصريها، إذ إنّها تظهر في جوانب كثيرة من مواقف الحكومة والأحزاب السياسيّة.

ويعرّف الدكتور عبد الوهّاب المسيري مفهوم "ما _ بعد _ الصهيونيّة" بأنّه "مصطلح سياسيّ يشير إلى مجموعة من العلماء الإسرائيليّين تشمل المؤرّخين الجدد وعلماء الاجتماع "الانتقاديّين"، وقد تأثّر بهم عدد من العاملين في حقول الثقافة والفنّ والأدب. ومن أهمّ حَمَلة خطاب ما _ بعد _ الصهيونيّة بِني موريس وسِمْحا فلاپان وأوري رام وسامي سْمُوحا وباروخ

9. شحوري، داليا. (2004). ما بعد الصهيونيّة بين الحياة والموت. أوراق إسرائيليّة، العدد (21). رام الله: المركز الفلسطينيّ للدراسات الإسرائيليّة- مدار. ص 11.

10. المصدر السابق. ص 12.

11. رام، أوري. (2009، 21 شباط). دراسات ما بعد الصهيونيّة في إسرائيل: العَقد الأوّل (الجزء الأوّل). نشرة كنعان الإلكترونيّة، السنة التاسعة، العدد 1812.

12. المصدر السابق.

13. المصدر السابق.

حركة متسپين حركة يساريّة ماركسيّة انشقت عن الحزب الشيوعيّ الإسرائيليّ. أُسّست عام 1962. تميّز نشاطها السياسيّ بدعم القضيّة الفلسطينيّة، وبرز نشاطها أكثر بعد الاحتلال الإسرائيليّ عام 1967. تحمل توجُّهات ثوريّة، وتعمل على إلغاء البنى الاجتماعيّة الاقتصاديّة القائمة.

14. شڤيد، إلعيزر. (1998). في تعريف الظاهرة ومغزاها: أهداف الصهيونيّة اليوم. **مجلّة الدراسات الفلسطينيّة**، المجلّد (9)، العدد (33). بيروت: مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة. ص 92.

كمريلنچ وآڤي شلايم وإيلان پاپي وغيرهم".[15]

يعرّف توم سيچف، في كتابه "الصهيونيّون الجدد"، مفهومَ "ما _ بعد _ الصهيونيّة" بأنّه "امتداد معاصر لِما سُمّي خلال السنوات الأولى لقيام الدولة بـ "صهيونيّة بين هلالين"".[16] ويضيف قائلًا إنّ المصطلح يُستخدم من حيث الجوهر كشتيمة، فهو يشجب ويُدين كلّ ما يقع بين الاستعدادِ للتوصّل إلى تسوية في الصراع الإسرائيليّ العربيّ، والاعتراضِ أو الطعن في الأساطير التاريخيّة التي رعتها وغذّتها الصهيونيّة.[17]

ويرى إيلان پاپي أنّ مصطلح "ما _ بعد _ الصهيونيّة" هو "عبارة عن مزيج من المفاهيم المعادية للصهيونيّة وتصوُّرٍ ما بعد حداثيّ للواقع، وقد أصبح "ما _ بعد _ الصهيونيّة" مصطلحًا مناسبًا يجمع بين اليهود الصهيونيّين والمعادين للصهيونيّة في الأوساط الأكاديميّة والسياسيّة الإسرائيليّة".[18]

من جهة أخرى، أشار أمنون روبنشتاين (من أشدّ المعارضين لِما _ بعد _ الصهيونيّة، وهو أستاذ القانون ووزير سابق للتربية والتعليم في إسرائيل) إلى أنّ ظاهرة ما _ بعد _ الصهيونيّة حسب انطباعه هي: "مقارَبة تَعتبر الصهيونيّة حركة كولونياليّة، وأنّها صمّاء تجاه الظلم الذي لحق بعرب إسرائيل، كما أنّها تلاعبت بالكارثة التي حلّت باليهود على يد النازيّة، وأنّ الصهيونيّة لم تأبه لمصير يهود أوروبا وقد استغلّتهم لأغراضها الخاصّة. إلّا أنّ الصهيونيّة –في رأيي– حتّى بمعايير القيم الإنسانيّة، كانت محقّة وأيضًا انتصرت".[19]

إشكاليّة إيجاد تعريف محدّد لمصطلح "ما _ بعد _ الصهيونيّة" تكمن في كونه يشير ظاهريًّا إلى انحسار الأيديولوجيا الصهيونيّة، أو إلى الانزياح إلى أيديولوجيا أخرى لم يتبلور بعد محتواها وأساسُها النظريّ. وكلّ الجهود لوضع تعريف نهائيّ لكلمة "فكريّة" مثل ما _ بعد _ الصهيونيّة هي محاولة محكوم عليها بالفشل، بسبب تعرُّض معنى "ما _ بعد _ الصهيونيّة" لتغيّر مستمرّ بحسب سياق وهدف استخدامه.[20]

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ معنى وصف ما _ بعد _ الصهيونيّة بـ "التيّار" يشير إلى التعبير عن تعدُّد الآراء والأفكار تجاه قضايا محدّدة يجمعها في إطار موضوعيّ، وليس بقصد إيجاد وحدة متماثلة بينهما؛ أي إنّ اللفظ "تيّار" لا يعني ولا يعبّر عن وحدة متجانسة قائمة بذاتها، بل هو عبارة عن خليط من مجموعة أفكار متعدّدة واتّجاهات متنوّعة.

المحور الثاني: أسباب ودواعي ظهور تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة

من واقع تسيُّد وهيمنة الأيديولوجيا الصهيونيّة في المجتمع لمدّة زمنيّة طويلة امتدّت منذ ما قبل إقامة دولة إسرائيل إلى ما بعدها بثلاثة عقود تقريبًا، في مختلف مجالات الحياة، فإنّ مسألة حدوث التحوّل في هذا الواقع لا يمكن أن تأتي من فراغ، بل لا بدّ من وجود بعض الأسباب والدواعي التي ساعدت في خلق الحالة الجديدة –أفكار ما _ بعد _ الصهيونيّة-، ولذا سيجري رصد بعض تلك الأسباب والدواعي التي أدّت إلى ظهور تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة داخل المجتمع الإسرائيليّ، التي ستنقسم إلى أسباب داخليّة وخارجيّة وأخرى دوليّة، على النحو التالي:[21]

15. المسيري، عبد الوهّاب. مصدر سابق.

16. شحوري، داليا. ص 13.

17. المصدر السابق.

18. Pappe, Ilan. (1997). Post-Zionist critique on Israel and the Palestinians: Part I: The academic debate. **Journal of Palestine Studies**, 26 (2). Pp. 29-41.

19. مرغليت، دان. (1998). ندوة حول الصهيونيّة وما بعد الصهيونيّة ومعاداة الصهيونيّة. مجلّة الدراسات الفلسطينيّة، المجلّد (9)، العدد (33). بيروت: مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة. ص 114.

20. مهدي، كاظم علي. مصدر سابق. ص 36.

21. عزّ الدين، جلال الدين. (2013، 3 آذار). إسرائيل من الداخل: ظاهرة ما بعد الصهيونيّة: الأبعاد والمضامين. تقارير ودراسات. مركز الحضارة للدراسات والبحوث. ص 6.

الأسباب والدواعي الداخليّة:

1. نجاح الصهيونيّة في التحوّل من مجرّد مشروع إلى دولة على أرض الواقع؛ فقد تبع إعلانَ الدولة في العام 1948 انتقالُ معظم مهامّ وصلاحيات المنظّمة الصهيونيّة إلى حكومة إسرائيل، بل إنّ أوّل رئيس لتلك الحكومة، بِنْ چوريون، قد فكّر في حلّ المنظّمة منذ وقت مبكّر دلالة على أنّ الدولة لم تعد بحاجة إلى استمرار وجود هذه المنظّمة.

2. تجسُّد الهُويّة الإسرائيليّة؛ وذلك بظهور أجيال جديدة من الإسرائيليّين الذين وُلِدوا هم وآباؤهم في إسرائيل (أولئك تُطْلَق عليهم التسمية "تْصَاباريم")، فكان ذاك مدعاة إلى تغليب الانتماء إلى الهُويّة الإسرائيليّة لديهم على سواها من هُويّات يهوديّة أو صهيونيّة أخرى، ولا سيّما أبناء الفئة العلمانيّة اليساريّة.

3. تصاعُد الصراعات الداخليّة الإسرائيليّة؛ فبما أنّ المجتمع الإسرائيليّ مجتمع هجين مصطنع من فرق يهوديّة وغير يهوديّة مختلفة من السكّان الأصليّين (فلسطينيّي الـ 48)، ومستوطنين يهود بأقسام متنوّعة (إشكِنازيّين؛ سْفارادِيّين؛ حَرِيديّين...)، فإنّ احتكار نخبة اليهود الأوروبيّين –الإشكناز– الحكْمَ لمدّة ثلاثين عامًا وإرساء قواعد وأنظمة للحكم وَفقًا لرؤيتها وبما يحفظ مصالحها، من شأنه أن يثير حفيظة وغضب سائر الفرق الأخرى، ولذا بالرغم من أنّ تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة يُعتبر ظاهرة يساريّة فقد جوبِهَ بهجوم اليسار قبل اليمين.

4. تفاقُم التناقضات الداخليّة؛ إذ ظهرت على السطح التناقضات الداخليّة في إسرائيل بعد هزيمة حرب عام 1973، حيث تفجّرت التيّارات الاجتماعيّة والثقافيّة الخفيّة المعبّرة عن الغضب والسخط في صورة احتجاج ضدّ كلّ الشرور التي ارتكبتها الدولة ضدّ الجماعات اليهوديّة المحرومة، ولا سيّما الجماعات ذات الأصول الشمال إفريقيّة. وحاول النشطاء الشباب محاكاة المعارضة التي عبّر الأمريكيّون الأفارقة عنها، فأسّسوا في مطلع السبعينيّات حركة "الفهود السود" الخاصّة بهم، وكانت هذه الحركة تعبيرًا عن مطالَبة اجتماعيّة بتوزيع جديد وأكثر عدلًا لموارد البلد الاقتصاديّة، ونصيبًا من تحديد هُويّتها الثقافيّة. صحيح أنّ هذه الحركة أخفقت في تحريك اليسار، إلّا أنّها لفتت انتباه اليمين الذي استغلّ احتجاجهم أوسع استغلال، وزجّ بهم في إطار حركة جماهيريّة جاءت بمناحيم بيچن إلى الحكم عام 1977، وهكذا خسر اليسار الإسرائيليّ جمهوره الطبيعيّ، لكن بعض أتباعه في الوسط الأكاديميّ بدأوا يبحثون في أسباب هذه الحركة.[22] ومنذ أواخر سبعينيّات القرن الماضي فصاعدًا، بات الأكاديميّون -بمساعدة البحث التاريخيّ أو السوسيولوجيّ- يمثّلون قضايا جميع الفئات المحرومة بوصفها قضايا تتطلّب بحثًا علميًّا. وعلى الرغم من إخفاقهم في استحداث جبهة سياسيّة تطالب وتسعى للتغيير، بقيت رؤيتهم للربط بين هذه الفئات رائجة على المستوى الأكاديميّ وتعزّزت بأعمال الأدباء والفنانّين في أعقاب الغزو الإسرائيليّ للبنان، حيث حاول الجميع تبنّي تفسير لا_صهيونيّ للواقع في الماضي والحاضر.[23] فضلًا عن هذا، اتّسمت رؤاهم بالنسبيّة والتعدُّديّة ونقد وتفنيد الأوهام التي ولّدتها المفاهيم الغربيّة كالحداثة والتنوير التي تعبّر عن انتصار العلم والمنطق على الأفكار غير المتحضّرة الآتية من العالم غير الغربيّ. كذلك قاموا بانتقاد المؤسّسات العلميّة الرسميّة، وأبرزوا تناقضات بين إسهاماتِ الكوادر الأكاديميّة السائدة (الصهيونيّة) في البناء الثقافيّ للمجتمع، ومَهَمّةِ الجامعة المتمثّلة في تشجيع الدراسات التعدُّديّة والانتقاديّة؛ إذ جرى إظهار أنّ التيّار الأكاديميّ السائد قد استخدم طُرقًا ومناهج تلائم الادّعاءات الأيديولوجيّة الصهيونيّة بشأن الأرض والشعب اليهوديّ، وقد كانت المساهمة الأكثر أهمّيّة لهذا التوجّه الفكريّ الجديد (ما _ بعد _ الصهيونيّ) في تلك الفترة هي تطبيق منظور كولونياليّ على الدراسات الاجتماعيّة والتاريخيّة للصهيونيّة.[24]

22. پاپي، إيلان. مصدر سابق. ص 87.

23. عزّ الدين، جلال الدين. مصدر سابق. ص 8.

24. پاپي، إيلان. مصدر سابق. ص 89.

5. اتّساع رؤية البعض أنّ الصهيونيّة قد حقّقت أهدافها على الصعيد القوميّ إذ أسّست دولة قوميّة عاديّة طبيعيّة، سكّانها طبيعيّون، بل إنّ يهود العالم أنفسهم قد جرى تطبيعهم من خلال وجود الدولة الصهيونيّة.[25]

6. كشْف وثائق حرب عام 1948؛ إذ اتّبعت الحكومة الإسرائيليّة النظام المتّبَع في بريطانيا والولايات المتّحدة، الخاصّ بكشف الوثائق السرّيّة بعد مرور ثلاثين عامًا عليها. فقد اعتبر البعض أنّ هذا العامل قد أسهم إسهامًا جِدّيًّا في دفع ظاهرة ما _ بعد _ الصهيونيّة، لِما له من أثر في الكشف كشفًا رسميًّا عن الطبيعة الكولونياليّة لدولة إسرائيل، واعتمادها على العنف في التخلّص من السكّان الأصليّين وطردهم من أراضيهم، وهو ما حرصت على إخفائه المؤسّساتُ الرسميّة المعنيّة في الدولة.[26]

الأسباب والدواعي الإقليميّة الخارجيّة:

1. حرب عام 1967؛ فقد كشفت هذه الحرب وجه الصهيونيّة التوسّعيّ الحقيقيّ، ونسفت أساسها الأخلاقيّ الذي ادّعته، كما ساعدت من ناحية أخرى على ربط الشعب الفلسطينيّ في الضفّة الغربيّة وقِطاع غزة، المحتلَّيْن حديثًا بفعل الحرب، بالفلسطينيّين داخل ما يسمّى بالخطّ الأخضر، الأمر الذي أدّى إلى تعمق وعيهم بانتمائهم وهُويّتهم الأصليّة، ممّا عزّز من قوّة أحد الأطراف المعادين للصهيونيّة عداءً مبدئيًّا.

2. حرب عام 1973؛ إذ أدّت هذه الحرب إلى شعور متزايد -وبخاصّة لدى فئة الشباب (الجنود)- بتكلفة الاحتلال، وبدأت مراجعة المقولات الصهيونيّة الأساسيّة، وأهمّها أنّ إسرائيل تمثّل ملاذًا آمنًا لليهود حول العالم المعرَّضين للاضطهاد وفقدان الأمن.

3. الانتفاضة الفلسطينيّة الأولى عام 1987؛ إذ ألقت الضوء على الجانب المهمَّش من المشكلة، وهو الجانب الخاصّ بالمظالم التي لحقت بالفلسطينيّين من الصهيونيّة وما أفرزته.[27]

4. مسار التسوية السلميّة للصراع؛ فقد عملت معاهدة السلام عام 1979 بين إسرائيل ومصر، واتّفاقيّة أوسلو بين إسرائيل ومنظّمة التحرير الفلسطينيّة، ثمّ معاهدة عام 1994 بين إسرائيل والأردن، على هدم الذريعة التي برّرت بها الصهيونيّة جرائمها ضدّ الفلسطينيّين والعرب، وهي أسطورة "لا خيار آخَر" وأنّ اليهود مضطرّون على نحو مستمرّ إلى عدم الثقة بالآخرين لأنّهم مضطهَدون وغرباء. كما عملت على تهيئة الظروف المناسبة لقِطاعٍ بدأ يتّسع، قِطاعٍ يرى إمكانيّة في التعايش مع الفلسطينيّين والعرب بسلام، وأنّ الصراع ليس قدَرًا محتومًا، وذلك إذا غيّرت الصهيونيّة من سياسات العنف واحتلال الأرض. وقد مَثّل هذا القِطاعَ ما عُرِفَ بحركات السلام واليسار الإسرائيليّ الذي انبثق عنه تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة.[28]

الأسباب والدواعي الدوليّة:

1. الثورة المعرفيّة في العلوم الإنسانيّة في الغرب، ورفض المسلَّمات البديهيّة التي سادت، مثل مطلَقات حركة التنوير والعقلانيّة والتقدّم، ورفض الرؤية التاريخيّة الأحاديّة الخطّ والتمركز حول الغرب، ومن ثَمّ انتشار العديد من مفاهيم ما بعد الحداثة.[29]

25. المسيري، عبد الوّهاب. مصدر سابق.

26. عزّ الدين، جلال الدين. مصدر سابق.

27. هاتف مكّي، دينا. مصدر سابق. ص 9.

28. عزّ الدين، جلال الدين. مصدر سابق.

29. المسيري، عبد الوهّاب. مصدر سابق.

2. ارتباط الفكر الغربيّ الما_بعد_حداثيّ بتنامي ظاهرة العَوْلَمة في تسعينيّات القرن العشرين، بعد الحرب الباردة وتفكُّك الاتّحاد السوفييتيّ. ونظرًا لانفتاح إسرائيل على الغرب، كان لزامًا أن تلقي تلك التطوّراتُ الحاصلة في الغرب بظلالها على الواقع الإسرائيليّ الداخليّ، حيث ظهرت أولى مؤلَّفات تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة هناك خارج إسرائيل من دور نشر غربيّة، ربّما لخوف المؤلّفين من النشر داخل الدولة، أو لرفض دور النشر التعاونَ معهم.[30]

3. قرار الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة (3379) لعام 1975. لقد هزّ هذا القرار -الذي ساوى بين الصهيونيّة والعنصريّة- شرعيّةَ الصهيونيّة المزعومة ودولة إسرائيل من ورائها، ووضع كثيرًا من مؤيّديها في حرج، وخاصّة خارج إسرائيل. وعلى الرغم من إلغاء هذا القرار في مطلع التسعينيّات، فممّا لا شكّ فيه أنّه قد نال من سمعة الصهيونيّة وزعمها أنّها حركة تحرّر وطنيّ أخلاقيّة، وأفقدها بعضًا من مصداقيّتها غير الكاملة لدى اليهود وغيرهم.[31]

المحور الثالث: أطروحات ما _ بعد _ الصهيونيّة

ابتداءً من الثمانينيّات، أحدثتْ مجموعتان من الأكاديميّين والمفكّرين (عُرِفتا بِـ "المؤرّخين الجدد" وَ "علماء الاجتماع النقديّين") ثورةً في دراسة التاريخ والمجتمع الإسرائيليّ، سعيًا إلى تقويض "الأساطير التأسيسيّة لإسرائيل". وأنتجت هاتان المجموعتان حصيلة مهمّة وبالغة التأثير من الأعمال، وقد ركّز أتباعها -في أساس ما ركّزوا- على تحليل ودراسة التاريخ العسكريّ والدبلوماسيّ لحرب عام 1948، محاولين تقويض النظرة الصهيونيّة التقليديّة إلى الحرب. ومع ذلك، كانت الحجج حول عام 1948 مجرّد جزء من سلسلة أوسع من المناقشات حول الماضي الإسرائيليّ، والتي سيطر عليها العديد من علماء الاجتماع لا المؤرّخين. لقد حلّلت هذه المناقشات مواضيع مثل العلاقة بين الصهيونيّة والاستعمار الأوروبيّ الكولونياليّ، ومواقف الدولة بأيديولوجيّتها الصهيونيّة من اليهود المزراحيّين "الشرقيّين"، والناجين من المحرقة، والشتات، والأقلّيّات غير اليهوديّة في المجتمع، والنساء. وقد أنتجت الذرائع التي قدّمها المؤرّخون الجدد وعلماء الاجتماع النقديّون نقاشًا ساخنًا في إسرائيل.[32]

لقد جرى تحدّي نصوص التاريخ وتغييرها في إسرائيل في سياق تراجع الصهيونيّة الكلاسيكيّة وصعود الصهيونيّة الجديدة من جهة (يمثّلها في إسرائيل الحزب الدينيّ القوميّ ("مَفْدال") والمستوطنون اليهود في الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة عام 1967، وأحزاب اليمين المتطرّف، وأجزاء واسعة في حزب الليكود، وحركة شاس الدينيّة الشرقيّة)،[33] وما _ بعد _ الصهيونيّة من جهة أخرى، حيث اعتمد التأريخ القديم على الفكر القوميّ للصهيونيّة الأوروبيّة الشرقيّة من الربع الأخير من القرن التاسع عشر، كحركة وطنيّة تفتقر إلى كلّ من الدولة والأقاليم؛ فقد تبنّت النوع العِرْقيّ أو التكامليّ من القوميّة في المنطقة بدلًا من القوميّة الإقليميّة أو المدنيّة المرتبطة بالدول الدستوريّة الغربيّة. فمنذ عام 1948، احتفظت دولة إسرائيل بهذه الشخصيّة بينما كانت تعلن مرارًا وتكرارًا التزامًا بالمساواة الليبراليّة لمواطنيها، ممّا أدّى إلى تضخّم هذا التوتّر منذ السبعينيّات إلى ما يشبه حربًا ثقافيّة، توشك أحيانًا أن تتحوّل إلى حرب أهليّة بين الصهيونيّة الجديدة وما _ بعد _ الصهيونيّة.[34]

في هذه النقطة، وباستعراض ومناقشة أطروحات تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة، سيتجلّى دور هذا التيّار كمرآة أو لوحة عاكسة تعمل على تسليط الضوء وتفنيد عناصر الرواية والسرديّات الصهيونيّة بصورة أكثر وضوحًا، وذلك بغية الكشف عن الغثّ والسمين في تلك السرديّات؛ فمن خلال إسقاط الوقائع الوضعيّة الماضية والراهنة التي تميّز الصهيونيّة، يأخذ تيّار ما _

30. هاتف مكّي، دينا. مصدر سابق. ص 10.

31. عزّ الدين، جلال الدين. مصدر سابق. ص 12.

32. Likhovski, Assaf. (2010). Post-post-Zionist historiography. **Israel Studies**, 15(2). Pp. 1-23.

33. شحوري، داليا. مصدر سابق. ص 18.

34. Ram, Uri. (2007). The future of the past in Israel: A sociology of knowledge approach (pp. 202-230). In Benny, Morris. (Ed.). **Making Israel**. University of Michigan Press.

بعد _ الصهيونيّة بيد الصهيونيّين لرؤية أنفسهم، وتقبُّل الوقائع التي يزخر بها تاريخهم، والآثار التي يتركها على الآخرين. لذا، يمكن وصف تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة بأنّه يمثّل تحدّيًا لعدم قدرة الصهيونيّة على الوفاء بالوعود التي قطعتها على نفسها، والوقائع التي أوجدتها بسبب الأسس التي شكّلتها. كذلك يكشف هذا التيّار عن الثغرات القائمة بين ما جرى افتراضه وقُطعت الوعود بشأنه، وأوجُهِ التلاعب والمصالح التي كانت تقف وراء هذه الافتراضات والوعود. بعبارة أخرى، من شأن هذا الاتّجاه التفكيكيّ أن يختبر مدى صحّة وصدق الصهيونيّة، بحيث تُمْسي مشابِهة لأيّ حركة كولونياليّة قوميّة أخرى. علاوة على هذا، يسعى هذا التيّار –في الوقت نفسه– لتقديم البدائل التي تستوفي المُثُل والقيم العالميّة السليمة، التي تضمن بلوغ نوع أفضل من أنواع الخلاص.[35]

ويتحدّى التاريخ الجديد وما بعد الوطنيّ وعلم الاجتماع النقديّ الذي يمثّله تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة أكثر الأساطير والأخلاقيّات أهمّيّة في إسرائيل، واحدة تلو الأخرى، في حين أنّ الخطاب الثقافيّ الصهيونيّ يدعمها عن طريق تخليصها من ضغط التأثيرات الحديثة والأجنبيّة، وفي ما يلي قائمة ببعض أهمّ القضايا والسرديّات الصهيونيّة الرئيسيّة المثيرة للجدل التي تناولها تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة بالفحص والتفنيد:[36]

القضايا الخلافيّة الرئيسيّة	السرديّة الصهيونيّة	نقد وتفنيد ما _ بعد _ الصهيونيّة
هل إسرائيل مجتمع طبيعيّ أم مجتمع استعماريّ استيطانيّ؟ وأيّ طرف هو المسؤول عن الحروب العربيّة _ الإسرائيليّة، وعن مشكلة اللاجئين؟	إسرائيل هي دولة الأمّة اليهوديّة التي عادت إلى وطنها بعد طردها منه منذ ألفَيْ عام، وفي حرب "الاستقلال" عام 1948 هرب الفلسطينيّون مفترضين أنّهم سيعودون قريبًا بعد خسارة إسرائيل الحرب. كذلك تسعى إسرائيل باستمرار إلى السلام، لكن الدول العربيّة ترفض ذلك؛ فهي تشنّ الحروب بصورة دوريّة على إسرائيل، ولذا يجب عليها الدفاع عن نفسها. وفي ما يتعلّق بالمناطق المحتلّة عام 1967، ستكون إسرائيل مستعدّة لتسوية إقليميّة إذا كان لديها شريك فلسطينيّ مسؤول وغير إرهابيّ. أمّا المواطنون العرب في إسرائيل، فقد مُنِحوا حقوق المواطنة الكاملة والمساواة.	إسرائيل مجتمع استعماريّ استيطانيّ على قَدم المساواة مع المجتمعات الأوروبيّة البيضاء الأخرى (نحو: الولايات المتّحدة؛ أستراليا؛ جنوب أفريقيا)، وسواء أكان طرد الفلسطينيّين عام 1948 مع سبق الإصرار أم نتيجة غير مقصودة للحرب، فإنّ إسرائيل مسؤولة إلى حدّ بعيد عن مشكلة اللاجئين. فكان الاستيلاء على الأرض مبدأً صريحًا للعمل الصهيونيّ، ومشتقّاه المنطقيّان هما خلع الفلسطينيّين من أماكنهم والتمييز ضدّهم. وغالبًا، رفضت إسرائيل المبادرات العربيّة لمفاوضات السلام، واستمرّت في تطوير ثقافة عسكريّة. ويجب على إسرائيل أن تتحوّل من دولة اليهود إلى دولة لجميع مواطنيها.

35. جمّال، أمل. (2016). **الفكر الصهيونيّ في متاهات التجديد والتحديث: جدليّة التناقضات الداخليّة وانعكاساتها العمليّة**. بيروت: مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة. ص 64.

36. Ram, Uri. Ibid.

ما علاقة الهُويّة الإسرائيليّة اليهوديّة بثقافة الشتات اليهوديّ؟ وهل استغلّت الصهيونيّة ذاكرة المحرقة؟	خُلِقت هُويّة يهوديّة علمانيّة جديدة في إسرائيل، وتحوّلت الهُويّة اليهوديّة من دينيّة إلى قوميّة مع الحفاظ على الرموز القديمة وتعديلها مع الحقائق الجديدة، وأُحْيِيَت ثقافةُ اليهود القدماء التوراتيّةُ، بما في ذلك اللغة العبريّة. الصهيونيّة هي الردّ الواضح على المحرقة، والذاكرةُ الإسرائيليّة تعتزّ بالضحايا اليهود الأبطال الذين لم يكن باستطاعتهم إنقاذ المجتمع المُرهَب.	استوعب الصهيونيّون والإسرائيليّون بعض الصور المعادية للساميّة. إنّهم يحتقرون الثقافة والتاريخ اليهوديَّيْن، ويعتبرونهما مثيرَيْن للشفقة، وعلى هذه الخلفيّة أعطت قيادة الييشوف أثناء المحرقة الأولويّةَ للقضيّة القوميّة على حساب إنقاذ اليهود من الاضطهاد النازيّ، وبعد المحرقة جرى إضفاء الطابع القوميّ على ذاكرتها، واستخدامها كذريعة في مواجهة العرب.
السياسات تجاه الشرقيّين اليهود	تمكّن اليهود من مختلف أماكن المنفى أن يتجمّعوا في إسرائيل لخلق هُويّة يهوديّة إسرائيليّة جديدة. أُزيلَ الطابع الاجتماعيّ التقليديّ للوافدين الجدد، ودُمِجوا في البوتقة. كان الشرقيّون متأخّرين ومن خلفيّات اجتماعيّة ممّا قبل الحداثة، وتطلَّبَ إدماجهم على قَدم المساواة جهدًا ووقتًا خاصَّيْن. ومنذ أواخر السبعينيّات استُكمِلَ هذا التوجّه بمفهوم "وعاء السلطة" لتعدّد الثقافات العِرقيّة على المستوى الرمزيّ.	هناك روايتان: الأولى من منظور ماركسيّ، ترى أنّه لم يكن اللقاء بين الشرقيّين والإشكنازيّين يعبّر عن تصادم بين الحداثة والتقليديّة، بل عن تصادم بين برجوازيّة من الدولة وبروليتاريا من صنع الدولة. لا تتعلّق المشكلة العِرقيّة بالتوزيع غير المتكافئ، بل بالإنتاج غير المتكافئ (أي العلاقات الطبقيّة). أمّا الرواية الثانية، فكانت من منظور ما بعد استعماريّ، فرأت أنّ المسألة ليست اقتصاديّة اجتماعيّة فحسب، بل إنّها تنطوي على تهميش هُويّة الشرقيّ في إسرائيل مستمَدّ من موقف استشراقيّ، فضلًا عن العداء للهُويّة العربيّة.

المَصْدر: Ram, Uri. Ibid. P. 214.

تبنّي مفاهيم الديمقراطيّة الليبراليّة، وتقبُّل روح الفرديّة والمنافسة المقترنة بهذه المفاهيم، والإحساس بأنّ دولة إسرائيل قد ظلمت الفلسطينيّين –بمن فيهم من بقوا في أرضهم داخل الخطّ الأخضر– كلّ ذلك أدّى إلى انحلال الفهم القوميّ الأساسيّ الذي اشتُقّت منه الديمقراطيّة الإسرائيليّة في الأصل. من هنا، وبعد حرب عام 1967 برز ادّعاء "ما بعد صهيونيّ" بوجود تناقض جوهريّ بين كون إسرائيل يهوديّة وكونها دولة ديمقراطيّة، وبحسب هذا الادّعاء، فإنّ على إسرائيل إذا رغبت في أن تكون ديمقراطيّة كاملة أن تكفّ عن أن تكون دولة يهوديّة، أي أن تكون دولة لجميع مواطنيها.[37]

أمّا بخصوص ردّ فعل مفكّري الصهيونيّة السائدة على التحدّي الذي فرضه الطرح الما_بعد_صهيونيّ، فقد انطوى على كثير من الانتقادات، إذ نشر عدد لا يستهان به منهم المقالات والكتب التي تسوّق الحجج المناهضة للنقد الذي وجّهته ما_بعد_الصهيونيّة إلى الصهيونيّة وإسرائيل، حيث صدر الحكم على الجانب الأعظم من الفكر الما_بعد_صهيونيّ، على أساس قياس مدى تواؤمه مع الفكر الصهيونيّ الكلاسيكيّ وولائه له. وفي هذا السياق، نشر العديد من المفكّرين الصهيونيّين كمًّا هائلًا من الأعمال التي انتقدوا فيها المفكّرين الذين أثاروا التساؤلات بشأن الأفكار الأساسيّة للصهيونيّة. بل لقد وصلت مسألة النقد الذي ساقه الصهيونيّون لِما_بعد_ الصهيونيّين إلى حدّ تصنيف تيّار ما_بعد_الصهيونيّة إلى مجالين من مجالات الفكر، يعرّفها الصهيونيّون باعتبارها "ما_بعد_الصهيونيّة الإيجابيّة"، وهم أولئك الذين لم يُبدوا معارضتهم للحركة الصهيونيّة التاريخيّة بشقَّيْها السياسيّ أو الثقافيّ، وآمنوا بأنّ أهدافها تحقّقت في إقامة الدولة، وهؤلاء الأفراد لا يثيرون بالضرورة التساؤلات بشأن الأسس الأخلاقيّة التي ترتكز عليها الصهيونيّة، بل يسعون للارتقاء بجودة الواقع الإسرائيليّ من خلال طرح الأفكار التي تستند إلى القيم الليبراليّة والديمقراطيّة. أمّا ما_بعد_الصهيونيّة السلبيّة، في نظر الصهيونيّين، فهم أولئك الذين يُنظَر إليهم على أنّهم يرفضون القوميّة اليهوديّة بجميع أشكالها، ويعتقدون أنّ المشروع الصهيونيّ هو مشروع عنصريّ وكولونياليّ في أصوله.[38]

من الواضح أنّ تيّار ما_بعد_الصهيونيّة لا يمثّل مجرّد معارضة سياسيّة أو موقف منهجيّ من التاريخ والسياسة الإسرائيليَّيْن، بل يعبّر عن فلسفة عميقة يمكن استيعابها على نحوٍ أفضل عند النظر إليه من ثلاث زوايا ترتبط كلّ منها بالأخرى:

الأولى: الأسس المعرفيّة التي يستند إليها تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة تُعتبَر ما_بعد_حداثيّة؛ أي إنّه قد تبنى أدوات تحليليّة وتفكيكيّة من أجل إعادة قراءة الصهيونيّة وجميع القضايا المتّصلة بها، مثل: تاريخ الشعب اليهوديّ، وتاريخ الحركة الصهيونيّة ومبادئها الأخلاقيّة، وتاريخ أرض إسرائيل وتركيبتها الديمجرافيّة، وتاريخ الحروب الإسرائيليّة، والسياسات الإسرائيليّة تجاه الشعب الفلسطينيّ بمختلف أماكن تواجده.

الثانية: الأسس الأنطولوجيّة، وتُعَدّ من أهمّ المساهمات التي قدّمها تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة بتسليطه للضوء على بعض الالتزامات الأنطولوجيّة التي يُبنى عليها الفكر الصهيونيّ، ومنها الالتزام بفكرة الشعب اليهوديّ كتصنيف ثابت ومسلَّم به، وأرض إسرائيل باعتبارها مكانًا ماديًّا يعرّفه الكتاب المقدّس، إضافة إلى الالتزام بالزمن التاريخيّ، فيشدّد أنصار الفكر الما_بعد_صهيونيّ على الطابع الانتقائيّ الذي يتّسم به الفكر الصهيونيّ عندما يتعلّق الأمر بالتاريخ.

الثالثة: الأسس الأخلاقيّة، فيبني مفكّرو تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة نقدهم للأسس الأخلاقيّة للصهيونيّة من خلال نقد الفرضيّة التي تقوم على تلك الأسس التي تضع المعادلة اليهوديّة جنبًا إلى جنب مع المعادلة الديمقراطيّة، فيرَوْن أنّ هذه المعادلة تجمع بين العناصر الإجرائيّة التي تشملها الفلسفة الديمقراطيّة والأبعاد الجوهريّة التي تنطوي السيادة اليهوديّة عليها، الأمر الذي يفضي إلى تبرير السياسات التمييزيّة التي لا تمتّ بأدنى صلة إلى القيم الديمقراطيّة.[39]

37. شفيد، إلعيزر. مصدر سابق. ص 95.

38. جمّال، أمل. مصدر سابق. ص 60.

39. جمّال، أمل. المصدر السابق. ص 65 وما بعدها.

في ضوء ما ذُكر، يمكن وصف الطرح الما_بعد_صهيونيّ بأنّه عبارة عن جهد فكريّ يقوم على نقد وتفنيد سرديّات ومكوّنات العقيدة الصهيونيّة الأساسيّة، ساعيًا لبيان وهنها الأخلاقيّ وعدم اتّزانها المعرفيّ وهشاشتها العمليّة، كما يبيّن هذا النقد أنّ قوّة الصهيونيّة ليست في أخلاقها بل في ممارساتها المبنيّة على تفوُّقها العسكريّ. وذلك بالطبع دون التفريط بحقّ اليهود في العيش داخل كيان سياسيّ آمِن خاصّ بهم يوفّر سبل ممارسة حرّيّتهم الخاصّة بهم.

المحور الرابع: أهمّيّة وأثر ما _ بعد _ الصهيونيّة

تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة قد أحدث اهتمامًا فكريًّا وجدالًا ضمن الإطار الأكاديميّ والثقافيّ الإسرائيليّ. ليس هذا فحسب، وإنّما كذلك مثّل قضيّة فكريّة سياسيّة لمجموعة مختلفة ومتنوّعة من المفكّرين والمثقّفين العرب أيضًا.[40] لذا، سيجري استعراض طائفة من وجهات نظر ومواقف لبعض المثقّفين العرب حول أطروحات تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة أوّلًا، ثمّ يليه تناول الرؤية الإسرائيليّة لأهمّيّة وأثر تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة ثانيًا.

أوّلًا: وجهات نظر بعض المفكّرين والمثقّفين العرب حول الطرح الما_بعد_الصهيونيّ.

على وجه العموم، يلاحَظ أنّ ثمّة برودة في التعاطي بما يطرحه تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة من جانب المثقّفين والمؤرّخين العرب، ويتجسّد هذا في ندرة الكتابات عنهم والأفكار التي يطرحونها، وفي محدوديّة النقاش الذي دار بشأنهم، ممّا ولّد الكثير من الارتباك والتردّد في التعامل العربيّ مع ما _ بعد _ الصهيونيّة، ويعود هذا إلى عدّة أسباب:[41]

أوّلها وجود قناعة شبه عامّة لدى المثقّفين العرب بأنّ ما يطرحه ما _ بعد _ الصهيونيّون يغلب عليه طابع الجدل الداخليّ، الذي يرمي إلى تصفية عقدة الذنْب الإسرائيليّة وتطهير الذات، أكثر ممّا يحمل رغبة في تعديل الرؤية التاريخيّة بصورة تؤثّر في الحاضر في اتّجاه الاعتراف بالحقوق الفلسطينيّة والدعوة للاعتذار التاريخيّ.

والثاني هو الصعوبة العمليّة والموضوعيّة التي يجدها معظم المؤرّخين الفلسطينيّين والعرب في الانخراط المعمّق في هذا الجدل، وثائقيًّا ومنهجيًّا، لكون الكثير من الوثائق والمراجع التي يجري الاعتماد عليها وتداولها وثائقَ ومراجعَ رسميّةً أو شبهَ رسميّة إسرائيليّة وباللغة العبريّة، وفي هذا تكمن صعوبة الوصول إليها.

أمّا السبب الثالث، ففي الإمكان أن نَعْزوه إلى الأجواء العامّة الرافضة للتطبيع مع إسرائيل، السائدة في أوساط النخبة الثقافيّة العربيّة، وذلك بسبب استمرار الاستيلاء على الأرض والحقوق الفلسطينيّة.

إنّ الرؤية العربيّة لأهمّيّة ما _ بعد _ الصهيونيّة تتفرّع إلى ثلاثة اتّجاهات أساسيّة:[42]

الأوّل يعتبر تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة من التيّارات الفكريّة التي ليس لها أهمّيّة، وتغلب على أطروحاتها الأفكار الصهيونيّة، وأنّ الجدل والحِوار مع مفكّريها يمثّل مسألة إسرائيليّة داخليّة. في هذا الصدد، ذهب الدكتور "حسن الباش" في تشكيكه بتيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة إلى حدّ توجيه الاتّهام لمن يتعاطى أو حتّى يروّج لأفكارها، ويشبّه ما _ بعد _ الصهيونيّة بذئب يرتدي ثياب الجَدّة، ويتقمّص شخصيّتها حتّى يبتلع حفيدتها الطفلة البريئة، ويعتقد أنّ طرح هذه الأفكار الما _ بعد _ صهيونيّة ليس بعيدًا عن طرح حِوار الحضارات على المقاس الغربيّ، أو عن طرح مفهوم العَوْلَمة، وليس من المستبعَد أنّ العقل الصهيونيّ اليهوديّ العالميّ هو الذي روّج للعَوْلَمة وما _ بعد _ الصهيونيّة.[43]

---

40. مهدي، كاظم علي. مصدر سابق. ص 109.

41. الحروب، خالد. (2001). المؤرّخون الجدد الفلسطينيّون والإسرائيليّون: وجهة نظر. مجلّة الدراسات الفلسطينيّة، المجلّد (12)، العدد (48). بيروت: مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة. ص 51.

42. مهدي، كاظم علي. مصدر سابق. ص 110.

43. الباش، حسن. (2005). **صدام الحضارات حتميّة قدريّة أم لوثة بشريّة**. بيروت، دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع. ص 62.

ويضيف أنّ طرح المفاهيم الكبرى، كمفهوم ما _ بعد _ الصهيونيّة، لا يخرج عن نطاق التفكير الصهيونيّ الإستراتيجيّ، وأنّ الذين يطرحونه ليسوا سوى حفنة من المؤرّخين الشباب دُفعوا لطرح مفهومهم لتكون هناك ردّة فعل صهيونيّة عامّة تدعو إلى التشبّث بالكيان والقتال من أجله، والتفوّق في المنطقة.[44]

لذا، من الصعب وصف جملة من الأفكار تعيد النظر في الصهيونيّة بالحركة أو التيّار (ما _ بعد _ الصهيونيّة)؛ فداخل هذه المراجعات ألوان طيف عديدة ومتمايزة، وبعضها إنّما تهيّئ لمزيد من القوّة والسيطرة من خلال نقد الذات وكشف النواقص ولفت الانتباه إلى عثرات الطريق، وهي أفكار وإن كانت تقع في إطار المظلّة العامّة لِما _ بعد _ الصهيونيّة لا تعدو في واقع الحال أن تكون إحياءً وتجديدًا.[45]

والثاني يَعتبر تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة ذا أهمّيّة ويسعى إلى الحِوار والنقاش مع دعاته للوصول إلى إمكانيّة تفاهم مشترك حول قضايا الصراع العربيّ – الإسرائيليّ، فيُبدي البروفيسور إدوارد سعيد حماسة واضحة في الدعوة إلى ضرورة أن يبادر المثقّفون العرب إلى الاتّصال المباشر مع هؤلاء المؤرّخين، ودعوتهم إلى النقاش في الجامعات ومراكز الثقافة في العالم العربيّ، ويؤكّد أيضًا أنّ هناك مسؤوليّة موازية في جانب المثقّفين العرب تجاه الرأي العامّ الإسرائيليّ تفرض عليهم مخاطبته.[46] كذلك يرى الدكتور هشام الدجاني أنّ المسائل التي تثيرها ما _ بعد _ الصهيونيّة، على الرغم ممّا يكتنفها من بعض الغموض أمام المجتمع الإسرائيليّ المعاصر، ستبقى حاسمة في ما يتعلّق بمستقبل هذا النظام، ولعلّ المأزق الذي أوصل شارونُ البلادَ إليه يجعل كثيرًا من القوى المعتدلة وقوى يسار الوسط تعيد تفكيرها في مواقفها.[47] وإنّ مشروع ما _ بعد _ الصهيونيّة ظاهرة مهمّة يمكن أن تحوّل الصهيونيّة من مشروع دولة _ أمّة مختلطة الأعراق إلى مشروع ذي خصائص أكثر تنوّعًا، إلى مشروع ليبراليّ ديمقراطيّ ما _ بعد _ حداثيّ. قد يكون مفهوم ما _ بعد _ الصهيونيّة لم يستقرّ ضمن مشروع واضح، لأنّ مَن يقفون خلفه جماعة محدودة من المفكّرين، تفكّر بطريقة مختلفة عن التيّار السائد؛ إذًا لماذا لا نفكّر معهم؟ لماذا لا نحاورهم إذا كنّا نريد العيش في سلام في هذه المنطقة من العالم؟[48]

أمّا الاتجاه الثالث، فيقع في منطقة وسط بين الاتّجاهَيْن السالفَيْن، ويمكن وصفه بالاتّجاه الموضوعيّ، وفيه العديد من الآراء والأفكار بشأن أهمّيّة أطروحات تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة. في هذا الشأن، يرصد إدوارد سعيد الكثير من التناقضات في مواقف وكتابات ما _ بعد _ الصهيونيّة، نحو: اعتبارهم أنّ الصهيونيّة ضروريّة لليهود وتبرير بعض الما _ بعد _ صهيونيّين لها كحركة استحواذ، على الرغم من اعترافهم بالظلم الفادح الذي وقع على الفلسطينيّين، على أنّ الصهيونيّة مارست استحواذًا ضروريًّا. كما أنّه بالرغم من إقرارهم باستخدام القوّة لإخلاء الأرض الفلسطينيّة من سكّانها، فإنّهم في نهاية المطاف عازفون عن الإقرار بالمسؤوليّة الصهيونيّة، بل يبرّرون ذلك بظروف الحرب، على الرغم من اعترافهم بأنّ ذلك كان عملًا غير أخلاقيّ. لكن في المقابل، ثمّة ميزة في أنّهم على الأقلّ يدفعون التناقض الصهيونيّ إلى حدود لم تكن ظاهرة لأغلبيّة الإسرائيليّين، ولكثير من العرب كذلك.[49]

واتّخذ المؤرّخ الفلسطينيّ إلياس صنبر موقفًا وسطيًّا؛ فهو يجد مبالغة في تصوُّر أهمّيّة المؤرّخين الجدد وأطروحاتهم ما _ بعد _ الصهيونيّة، وهو في الوقت نفسه يذكر ما لهم وما عليهم. في جانب ما لهم (الإيجابيّ)، يرى ثلاثة مستويات: المستوى الأوّل أنّهم أثبتوا الرواية الفلسطينيّة فيما بعد، على الرغم من أنّهم ينكرونها. المستوى الثاني أنّهم زعزعوا الشعور الخاطئ بالبراءة بشأن ما حصل خلال حرب عام 1948. المستوى الثالث أنّهم قدّموا فكرة رئيسيّة في الخارج، وهي أنّ إسرائيل

44. المصدر السابق. ص 63.

45. المسلماني، أحمد. (2012). **ما بعد إسرائيل**. القاهرة: دار ليلى للنشر والتوزيع والطباعة كيان كورب. ص 183.

46. الحروب، خالد. مصدر سابق. ص 58.

47. الجاني، هشام. (2004، 19 أيّار). ما بعد الصهيونيّة ضدّ مقولة الدولة - الأمّة... لماذا لا نحاورهم؟! مفتاح.

48. المصدر السابق.

49. مهدي، كاظم علي. مصدر سابق. ص 112.

وُلدت من خلال جريمة بحقّ شعب آخر، هو الشعب الفلسطينيّ. أمّا في جانب ما عليهم (السلبيّ)، فتَشُوب أطروحاتِ ما _ بعد _ الصهيونيّة سلبيّاتٌ، يكمن أهمّها في التناقض في ما يكتبونه وما يُقِرّون به في الندوات والمحاضرات العامّة؛ وفي التخلّي عن الكثير من أفكارهم عندما يناقشون المثقّفين والمؤرّخين الفلسطينيّين، وهو ما يُفضي بهم إلى وضع أقرب إلى انفصام في الشخصيّة[50] يعانيه منظِّرو ما _ بعد _ الصهيونيّة، ولا سيّما بِني موريس الذي يرفض اعتبار أنّ الخطّة الصهيونيّة استهدفت إفراغ أرض فلسطين من سكّانها، ويدّعي عدم وجود دليل رسميّ كتبه بن چوريون، لكنّه على النمط نفسه يقلب رأيه رأسًا على عقب، إذ يرى أنْ ليس هناك وثيقة كتبها هتلر لإدانته مباشرة على مجازره ضدّ اليهود، لكنْ هناك جهاز نازيّ سعى إلى تدميرهم.[51]

ثانيًا: أهمّيّة وأثر تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة وَفقًا للمنظور الإسرائيليّ.

الظاهرة المركَّبة المعروفة باسْم "ما _ بعد _ الصهيونيّة" معقّدة جدًّا، ومكوّناتها غير متماثلة، وتُعَدّ تجلّياتها نتاجًا لحلقة صغيرة من أنصارها، وعلى الرغم من أنّ صوت هؤلاء الأنصار مرتفع وكثيرًا ما يبرز في المنشورات المطبوعة ووسائل الإعلام الإلكترونيّة، فإنّهم يعكسون آراء نُخَب ذات نفوذ ضئيل في المجتمع الإسرائيليّ. لكن ما _ بعد _ الصهيونيّة هي أيضًا عمليّة اجتماعيّة وسوسيولوجيّة، ولذا فإنّها أوسع انتشارًا وأكثر نفوذًا ممّا هو معترَف به رسميًّا.[52] أمّا بالنسبة إلى الجزء المتعلّق بِـ "ما بعد الحداثة" من المعادلة، فإنّه ينبثق من توجُّه لدى البعض في تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة، للنظر إلى الواقع في إسرائيل كمرحلة سقطت فيها معظم الحقائق الصهيونيّة، لكن لا يتوافر ما سيحلّ محلّها. وهكذا فإنّهم، من منظور الخطاب الما_بعد_حداثيّ، قد فكّكوا الأسطورة لكنّهم يعجزون عن إعادة بنائها على أسس موضوعيّة سليمة. ويكتسب مثقّفو ما _ بعد _ الصهيونيّة ثقة أكبر بالنسبة إلى المستقبل عندما يجري تصوُّر إقامة دولة إسرائيليّة بدلًا من دولة يهوديّة، أي دولة لجميع مواطنيها، لكن معظمهم يعلّق أمله في المستقبل على بذل جهود مستمرّة ومنافسة مدنيّة وثقافيّة طويلة الأمد بين مختلف العناصر التي تستقطب المجتمع الإسرائيليّ وتكوّنه.[53]

وهناك من يرى أنّ تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة هو عبارة عن حركة معادية للصهيونيّة تبتغي الطعن في المقولات الأساسيّة للصهيونيّة، ابتغاءَ تأسيس سرديّة جديدة للصراع تقوم بالأساس على اعتبار إسرائيل دولة علمانيّة في مقابل السرديّة الصهيونيّة الكلاسيكيّة، مستدلّين على ذلك بأطروحات "إيلان پاپي" وَ "شلومو ساند" وغيرهما. في المقابل، يؤكّد آخرون أنّ ما _ بعد _ الصهيونيّة هي محاولة لإعادة بعث فكرة الدولة اليهوديّة في ثوب علمانيّ عبْر غسلها من جرائم الصهيونيّة، عبر التخفيف من الشروط الديمچرافيّة للانتماء للكيان اليهوديّ، ويستدلّون على ذلك بأقوال بعض المؤرّخين الجدد، وعلى رأسهم "موريس"؛ إذ يؤكّد هذا الفريق أنّ معظم هؤلاء المؤرّخين لا ينكرون شرعيّة ما يسمّى "القوميّة اليهوديّة"، ومعظمهم يقيمون في دولة إسرائيل ويخدمون توجُّهاتها الحاليّة بشكل أو بآخر. وعلى الرغم من الخلاف القائم، فإنّ المتّفَق عليه بين الفريقَيْن هو أنّ كتابات المؤرّخين الجدد تُعَدّ المصادر الأكثر أهمّيّة ومرجعيّة لتوثيق جرائم الصهيونيّة خلال مرحلة النكبة، شاملة التطهير العرقيّ والتهجير القسريّ الذي مارسه الصهيونيّون ضدّ أبناء الأرض من الفلسطينيّين.[54]

ليس مثقّفو ما _ بعد _ الصهيونيّة، ولا المؤرّخون الجدد، ولا علماء الاجتماع الجدد، أوّلَ من تحدّى وفنّد السرديّة الصهيونيّة لماضي إسرائيل وحاضرها؛ فقد سبقهم إلى ذلك بعض الشخصيّات أو المجموعات المتفرّقة من اليساريّين من أعضاء الحزب الشيوعيّ، أو الجماعات الهامشيّة كحزب "مپام"، لكنْ تَوجُّهُ هذه المجموعات الأيديولوجيّ، فضلًا عن أنّهم لم

50. الحروب، خالد. مصدر سابق. ص 57.

51. مهدي، كاظم علي. مصدر سابق. ص 113.

52. شفيد، إلعيزر. مصدر سابق. ص 92.

53. پاپي، إيلان. مصدر سابق. ص 79.

54. ساسة. (2014، 1 آب). (ما بعد الصهيونيّة) وأطروحات المؤرّخين الجدد في إسرائيل. موقع ساسة.

يكونوا مؤرّخين أو علماء اجتماع في مهنهم الرسميّة، هذا وذاك جعلا من السهل الاستخفافَ بأفكارهم وطروحاتهم الفرديّة، ووصْفَها بأنّها مجرّد ادّعاءات لبعض الناشطين السياسيّين خارج الإجماع القوميّ. على النقيض من ذلك، فإنّ ما_بعد_ الصهيونيّين، لكونهم باحثين معتمَدين في بيئة أكاديميّة رسميّة للبحث في ماضي وحاضر البلد وتدريسه أيضًا، كانوا أوّل وأهمّ مَن تحدّى التفكير التقليديّ والسرد الصهيونيّ من داخل النظام.[55]

وفي ما يتعلّق بطبيعة التفاعل مع النتاج الفكريّ لتيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة في الداخل الإسرائيليّ، يمكن رصد أكثر من اتّجاه مع أو ضدّ الأطروحات النقديّة التي ساقها المؤرّخون الجدد أو مثقّفو ما _ بعد _ الصهيونيّة للسرديّات الصهيونيّة، وذلك على النحو التالي:

الاتّجاه الأوّل، يرى أهمّيّة حقيقيّة لطروحات تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة من خلال تأثيرها في المجتمع الإسرائيليّ ومحاولة بلورة وعي إسرائيليّ جديد. هنا، يرى إيلان پاپي أنّ النجاح الذي حقّقه النقد الما _ بعد _ صهيونيّ يكمن في جعل تناول بعض المسلَّمات ذات القداسة أمرًا مشروعًا، بعد أن كانت لوقت طويل خطًّا أحمر في المجتمع الإسرائيليّ، وهذه المسلّمات تشمل طابعَ الصهيونيّة، وسلوكَ الجيشِ الإسرائيليّ غيرَ الأخلاقيّ خلال حرب عام 1948، ومشكلةَ اللاجئين الفلسطينيّين، وسياسةَ الدولة إزاء اليهود الشرقيّين، وغيرَها. هذه العمليّة أجازت الخوض في نقاش عامّ في مواضيع لم تكن سابقًا مخبّأة في المؤسّسة الأكاديميّة فحسب، وإنّما في أحاديث الناس أيضًا، بالإضافة إلى أنّ هذا النقد هدّد بإدخال السياسة من أوسع الأبواب داخل المؤسّسة الأكاديميّة والتعليميّة والإعلاميّة الإسرائيليّة.[56] كذلك حذّر رئيس الوزراء الإسرائيليّ بنيامين نتنياهو من خطورة التخلّي عن مبادئ الصهيونيّة، إذ يقول: "إنّ نظريّة ما _ بعد _ الصهيونيّة هذه تُعَدّ أكثر خطورة على مستقبلنا من هجمات خارجيّة، حيث إنّ تنازل دولة إسرائيل عن المبادئ الصهيونيّة يُعَدّ تنازلًا عن مصدر حياتها، وعندئذٍ تبدأ بالذبول".[57]

من المسلَّم به أنّ ظاهرة أو تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة يمثّل توجّهًا بات يتبوّأ مكانة بارزة لا يمكن تجاهلها في المشهدَيْن الأكاديميّ والسياسيّ الإسرائيليّين، على مدى أكثر من عَقدَيْن ماضيَيْن. وعلى الرغم من أنّ هذا التوجّه يفتقر إلى التماسك، فإنّه يمتاز بدرجة عالية من الاتّساق، كونه يعارض الأسس الأخلاقيّة والسياسيّة التي قامت عليها الحركة الصهيونيّة ودولة إسرائيل، وقد عمل على تتبُّع ممارسات الحركة الصهيونيّة وجعلها موضع نقاش ونقد، بشأن مدى التناغم والانسجام بين الخطابِ الأخلاقيّ والسياسيّ الذي تتبنّاه هذه الحركة، وممارساتِها على الأرض. وقد أبرز مفكّرو ما _ بعد _ الصهيونيّة (من خلال إعداد الأبحاث العلميّة في حقول التاريخ وعلم الاجتماع والسياسة) صحّة الفرضيّة القائلة أنّ الحرب والقوّة لا تكفلان أمن إسرائيل، ولا تضيفان السِّمَة الشرعيّة على حقوق اليهود. من هنا، يظهر جليًّا أنّ الانتقادات التي ساقها مثقّفو ما _ بعد _ الصهيونيّة قد تسبّبت -بشكلٍ ما- في تقويض الصهيونيّة السائدة التي تختلط فيها القوّة بالحقوق.[58]

والاتّجاه الثاني هو الاتّجاه الذي يتجاهل ولا يبدي أيّ اهتمام بتيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة، وينتقد طروحاتهم باعتبارها تقوّض المشروع الصهيونيّ وأهدافه، كما يشكّك هذا الاتّجاه في مناهج البحث التي تتّبعها ما _ بعد _ الصهيونيّة، ويعمل على البرهنة أنّ استنتاجاتهم مخطوءة. ويبرز في هذا الاتّجاه أودي أديب الذي رأى أنّ إشكاليّة النقد الما _ بعد _ صهيونيّ تكمن أساسًا في غياب مثالٍ أسمى سياسيٍّ يمثّل غاية لهذا النقد، ومن ثَمّ النقد من أجل النقد (أو "الديالكتيك السالب")، وهو ما يعني أنّه يمثّل نقدًا سالبًا فقط، كنوع من تفكيكيّة النظام السياسيّ – الاجتماعيّ القائم، من دون المدلول الإيجابيّ للتحرّر بالمعنى الإنسانيّ لعمليّة إنشاء نظام سياسيّ كونيّ جديد، باعتباره تحقيقًا لفكرة الإنسان المفكّر كمخلوق سياسيّ

55. عزّ الدين، جلال الدين. مصدر سابق. ص 15.

56. مهدي، كاظم علي. مصدر سابق. ص 123.

57. نتنياهو، بنيامين. (2014). **مكان تحت الشمس** (ترجمة: محمّد عودة الدويري). عمّان: دار الجليل للنشر. ص 34.

58. جمّال، أمل. مصدر سابق. ص 53.

وكإنسان في هذا العالم.[59] إلى جانب النقد اليساريّ لأهمّيّة ما _ بعد _ الصهيونيّة، يعتبرهم الكاتب عمانوئيل سيڤان مجموعة غير متجانسة، ويرى أنّ كتاباتهم محصورة التوجّه إلى قرّاء ذوي ميول يساريّة بالأساس، ومن أبناء البيئة العلمانيّة لا الدينيّة، ومن طبقة رفيعي المستوى التعليميّ لا من الأقلّ تعلُّمًا، وهو ما يعني في النهاية دائرة محدودة الفعل والتأثير.[60]

التركيز على التناقض الفكريّ والسياسيّ بين اليهوديّة والديمقراطيّة -على سبيل المثال- لا يزعج أحدًا في إسرائيل، وإذا عبّر أحدهم عن انزعاجه فإنّ الأمر يبدو نوعًا من تطهير النفس ليس إلّا. على سبيل المثال، بُوعَز عڤرون، مؤلّف كتاب "المحاسَبة القوميّة"، يكتب ما يلي، بنوع من الجدل الذي لا يقدّم ولا يؤخّر: "ماذا تفعل إسرائيل إزاء هذا التناقض الواضح في تركيبتها الاجتماعيّة والدينيّة والثقافيّة وسط هذا الكمّ من السكّان العرب، أخشى أن تقوم الحكومة الإسرائيليّة، أيّة حكومة، سواء في ذلك الحاليّة أو القادمة –لا فرق- بعكس ما ينبغي فعله، لا بدّ من تغيير السياسة الداخليّة والخارجيّة معًا، ينبغي التوقّف وإجراء محاسبة للنفس. ولكن محاسبة النفس هذه عمليّة تحتاج إلى عقود كثيرة حتّى تكتمل، وهناك الكثير من محاسَبات النفس اليهوديّة التي قدّمها باحثون ومفكّرون دون نتائج سوى تقديم المبرّر والغطاء والراحة النفسيّة لصانعي القرار والجمهور، ومن أبرز تلك المحاسبات أطروحات المؤرّخين الجدد، أو ما _ بعد _ الصهيونيّين، الذين انقلبوا على أنفسهم فيما بعد.[61]

على أيّة حال، لا يمكننا الاستهانة بأثر أطروحات المؤرّخين الجدد، أو ما _ بعد _ الصهيونيّين، في إحداث صدمة مؤثّرة في وعي الكثيرين في وسط المجتمع الإسرائيليّ بمختلف مكوّناته، وقد تحدّى هذا الأثرُ الكثيرَ من السرديّات التقليديّة التي كانت خلال عقود خلت أقرب إلى القناعات المقدّسة والدينيّة، وذلك من خلال فحص مدى صحّتها وعدم صحّتها في ضوء الحقائق المتاحة، ولا سيّما وثائق الأرشيف الإسرائيليّ المفْرَج عنها بعد مرور ثلاثين عامًا على صدورها. وفي الوقت نفسه، من غير المتوقّع من هؤلاء المفكّرين أن يخوضوا معركة بالنيابة عن العرب والفلسطينيّين، أو الانقلاب ضدّ المجتمع الذي ينتمون إليه. ففي نهاية المطاف، من المنطقيّ أن يظلّ ولاؤهم للمشروع الإسرائيليّ، وأن تبقى جهودهم منصبّة على تحسينه، كما أنّ من المنطقيّ أن يكون ولاء وجهود المؤرّخين الفلسطينيّين والعرب لبلادهم ومشاريعهم الوطنيّة.[62]

خاتمة

لقد مثّل تيّار ما_بعد_الصهيونيّة ظاهرة أثارت الكثير من الجدل، داخل إسرائيل وخارجها، ولقد تبنّاها عدد من الأكاديميّين الإسرائيليّين الذين حاولوا إعادة صياغة التاريخ والمجتمع والسياسة، ومن ثَمّ امتدّ الأمر ليشمل جوانب ثقافيّة وفكريّة أخرى (كالأدب والفنون بفروعها -على سبيل المثال). وشعرت إسرائيل الرسميّة (الصهيونيّة) بخطر هذه الظاهرة، وعملت على محاربتها اعتمادًا على افتراض أنّه من خلال نقد وتفنيد المسلّمات والسرديّات الصهيونيّة، وبالتالي هدمها، تجري زعزعة أسس استقرار كيان الدولة، أي زوال إسرائيل.

وعلى الرغم من النوايا الحسنة لدى بعض منظّري تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة، كالدكتور "إيلان پاپي" الذي صنّفه الكثير من الصهيونيّين أنّه ناشط فلسطينيّ، بسبب مواقفه الأخلاقيّة والثابتة من مسألة مراجَعة ونقد السرديّات التاريخيّة الصهيونيّة، فإنّ غالبيّتهم –وعلى رأسهم بِني موريس– انقلبوا عائدين إلى رحم الفكر الصهيونيّ. وعلى الرغم من زَخْم أفكار ما _ بعد _ الصهيونيّة المنسجمة مع أفكار ما بعد الحداثة في التسعينيّات من القرن الماضي، وبخاصّة بعد انتهاء

59. أديب، أودي. (2014، نيسان). النقد الما بعد صهيونيّ: الديالكتيك السالب. قضايا إسرائيليّة، العدد (53). رام الله: المركز الفلسطينيّ للدراسات الإسرائيليّة- مدار. ص 75.

60. مهدي، كاظم علي. مصدر سابق. ص 125.

61. عوض، أحمد رفيق. (2011، آب). الصراع الدائم: الدولة أم يهوديّتها. **قضايا إسرائيليّة**، العدد (41-42). رام الله: المركز الفلسطينيّ للدراسات الإسرائيليّة- مدار. ص 88.

62. الحروب، خالد. مصدر سابق. ص 58.

الحرب الباردة ودخول عصر العَوْلَمة، لم يتمكّن من الاستمرار في المستوى نفسه مع أوّل عقبة واقعيّة يواجهها، مثل اندلاع الانتفاضة الفلسطينيّة الثانية عام 2000، وفشل عمليّة السلام.

على وجه العموم، يمكن القول إنّ تيّار ما _ بعد _ الصهيونيّة قد استطاع أن يلمس بوضوحٍ حقيقةَ أزمة شرعيّة الوجود الإسرائيليّ، وإنّ هذا الوجود قد جرى على حساب مجتمع آخَر له وجود على أرضه ومتطوّر، هو المجتمع الفلسطينيّ، حيث أُلحق ضرر بالغُ بهذا المجتمع القائم بالفعل من أجل إقامة مجتمع بديل متصوَّر، لكنّ هذا التيّار لم يتجاوز حدود الإقرار بهذه الحقائق، ولم يحاول أيّ من مفكّريه تقديم حلول عمليّة أخلاقيّة –استنادًا إلى تلك الحقائق- لأزمة الوجود الصهيونيّ الإسرائيليّ ككلّ.

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات
الاجتماعية التطبيقية